

الشعر الثوري في الأدب المعاصر

بمقام
ملك عبد العزيز

قد احس الارض قصبانا وفي القصبان ذله
انه يفنى ليحيا فسوق ارض مستقله
.....

هذه الثورة لن تخدم - ان لم تظفر
لن ينام الشعب عن قيد - اذا لم يكسر
لعنة الشعب على الاصنام والمستعمر
وفي نهاية قصيدة اخرى بعنوان « هجرة » نراه يقول :

بل تعالوا نحطم « الصنم العاتي » ونبني هنا الحياة الجديده
يارفاق الشقاء هل من مرشد لنزوح السيل بلا دبعيه
حيث تحت السماء قسوت وستر وحياء يقال عنها سميده

ولقد حطم « الصنم العاتي » حين خلع الملك الفاسد بنجاح ثورة
٢٣ يولييه المباركة ، وبدأنا بحق في بناء الحياة الجديدة .
اما سليمان العيسى فلقد كان يهاجم ذلك العهد الديكتاتوري المستبد
الذي رزحت تحت نيره سوريا عامي ١٩٥٣ ، ٥٤ ، وقرن بينه وبين سيطرة
الاستعمار وتناول اسرائيل على الحدود العربية . ففي خاتمة قصيدة
« على الحدود » يرى اننا يجب اولاً ان نتخلص من الحكام الطفلة واعوان
المستعمر لكي نستطيع ان نلقى اعداءنا الخارجيين وننتصر عليهم :

لو كان في كفي قياد القيدر (١)

غسلت جفني امتى بالشرر

الهبث بالثورة حتى الحجر

ظهرت ارضي من ظلال العبيد

عندئذ ... ألقى عدوي العتيد

« وفي قصيدة « ادفن الشكوى » نراه يقول : (٢)

نحن ؟ هم يدرون من نحن ، جراح الضعفاء

كما كمو فما زلزلهم ألف نداء

وهم من هم ؟ حشالات عبيد واماء

لفهم « مستعمر » نقتل بشوب الكبرياء

لم يحن ما بيننا يا امتي يوم اللقاء

ثم يقول منذراً ومبشراً بفجر الثورة التي ستطبخ بالاستبداد :

ليزجوننا غداء السجن مثنى وفرادى

وليبيعوا مثلما شاؤوا لمن شاؤوا البلادا

لا رعبانا الله ان نلبس على الخطب حدادا

عندما تلقيت رسالة الصديق الدكتور سهيل ادريس ، يعهد الي فيها
بالكتابة عن الشعر الثوري في ادبنا المعاصر ، كان من الطبيعي ان يتبادر
الي ذهني اول ما يتبادر - الشعر الوطني وشعر الماركس التحررية التي
يخوضها اليوم عالمنا العربي . ولكني لم البث قليلا حتى ادركت ان الشعر
الثوري وان كان بلا شك يشمل ذلك النوع من الشعر الذي اشرت اليه ،
والذي يمثل جانبا كبيرا منه - الا انه مع ذلك اشمل منه واوسع
مدى . فالنفس الشاعرة تثور لدوافع متباينة مختلفة ، تختلف باختلاف
مشاكل الحياة وتباينها .

والثورة هي سخط على وضع قائم فاسد ، وحركة عنيفة لتغيير ذلك
الوضع والقضاء عليه من اجل ارساء القواعد لاضاع جديدة تطابق
المثل العليا التي يهدف اليها الثائرون . وهذه الراضاع الفاسدة التي
يسمى الثائرون للقضاء عليها قد تكون اوضاعا وطنية او قومية ، عنصرية
او انسانية ، اجتماعية او خلقية ، وان كان الترابط والتفاعل موجودين
دائما بين الكثير من هذه الانواع ، وفيها جميعا تكون الكلمة الشاعرة هي
المحرك والوقود ، بل هي البشر والمنبىء ، وهي المؤيد والمجد ، وهي
المثبت لاركان الثورة اذا قيض لها النجاح .

والثورة الوطنية ضد الاستعمار كانت دائما ثورة ضد المستبدين والطفلة
من الحكام العرب ، اولئك الذين كانوا دائما مطية المستعمرين ، وحلفاءهم
يكلمون الافواه ويحكمون بالحديد والنار لانهم يتعاونون معه ضد مصالح
الشعب .

وديوان « اصرار » الصادر في القاهرة ١٩٥١ لكامل عبد الحليم
وديوان « اعاصير في السلاسل » الصادر في حلب ١٩٥٤ لسليمان
العيسى ، يعبران خير تعبير عن كل ذلك .

فقصائد كمال عبد الحليم التي كتبها في عهد الملك السابق فاروق ، بل
وفي عهد رئيس الوزراء الطاغية صدقي باشا ١٩٤٦ انما كانت دعوة
صريحة للثورة ، بل نبوءة لم تلبث ان حقتها الايام .

ففي قصيدة « هذه الثورة » (١) المكتوبة ١٩٤٦ نرى الشاعر يتنبأ
بالثورة بل يتصورها قد حدثت بالفعل فيقول :

هبت الريح ولا ربح اذا هبت زئير

وتراءت كتل الاجساد كالرييح تطير

كتل يقتلها الصمت وتحببها القبور

حطمت بيد الثورة ماضيها الصفير

ومضت تحت مستقبلها بين الصخور

وفي نهايتها يقول :

انه الشعب دعاه الليل ان يصبح شعله

(١) ص ٩٠ من ديوان « اعاصير في السلاسل »

(٢) ص ٣٦ من ديوان « اعاصير في السلاسل »

(١) ديوان « اصرار »

فجرنا أقوى على الافاق نورا واحتشادا

نفحة الازهاب لن توسعه الا اتقنا

ولئن عبر هذان الشاعران عن دعوتهما للثورة بذلك الشعر القوي
الواضح الصريح فان بعض الشعراء قد تلجئهم ظروف المسف والابتعاد
وتكبيم الافواه والرقابة المعتنة على وسائل النشر ، قد يلجئهم كل
ذلك الى الرمز حتى يستطيعوا اذاعة اشعارهم الثورية (١)

ولئن كان الرمز في حاجة من الغاريء الى قدر اكبر من التأمل لاستكناه
دقائق المعنى المختفي خلفه ، الا ان استخدام الرمز نفسه يعطي العمل
الفني تراء وعمقا ، ويهبه بعدا ثالثا ان جاز هذا التعبير ، أي يجده ،
ويجعل القصيدة وحدة تشكيلية ، كالتمثال المنحوت ، لأمجد اندفاعات
عاطفية وصرخات حارة ، قد تكون مؤثرة بلا شك ، وقد تكون مترابطة
ترابطا منطقيا مسلسلا ، ولكنها رغم ذلك تظل تفتقد تلك الوحدة الكلية
التي نلمسها في التحفة المنحوتة المجسدة ، ذات البنية العضوية السليمة
الترابطة . بل ان الرمز قد يكون من الشراء بحيث يحمل اكثر من مدلول
يمكن تفسير العمل الفني به دون تسف .

على ان الرمز وان كان في بعض الاحيان تقية سياسة - الا انه -
بالاضافة الى ما ذكرت - يعطي الشاعر الموهوب امكانية الخروج على الطرق
المألوفة ، والالفاظ المحفوظة والاساليب المعتادة . لان الشاعر سينساق
مع الرمز الذي اختاره فيعبر عما يلزمه به وما تتم به صورته ، فيتحرر
من القوالب القديمة المحفوظة التي براها طول الاستعمال خصوصا وان
الرمز على هذا النحو الكلي لم يكن معروفا عند القدماء مما يساعد على
هذا التحرر . وخير مثال لذلك قصيدة « مدينة بلا مطر » لشاكر
السياب . وقد نشرت القصيدة في العدد الصادر في اب « اغسطس »
١٩٥٨ ، ولكن القصيدة قد كتبت قبل ذلك بلا شك ، خصوصا وان
الدكتور سهيل يقول في تقديمه لذلك العدد انه كان ينبغي له ان يصور في « ايار »
« مايو » ولكن قيام الثورة في لبنان حال دون ذلك . وقد كتب على ذلك
العدد نفسه « حزيران - تموز - اب - » لانه جاء بعد الفترة التي
انقطعت فيها « الاداب » عن الظهور .

وفي هذه القصيدة يتخذ الشاعر رموزه من الاساطير البابلية : تموز
اله الخصب الذي صرعه خنزير بري ، ولكنه ينبعث كل عام فتنبعث
معه الحياة بعد هجمة الشتاء ، وتعود بعودته حبيسته عشتار الهة الحب
والخصب .

وفي الجزء الاول يصور الشاعر تلك الثورة المكتومة التي تضطرم في
صدر المدينة وتوشك ان تشتعل :

« مدينتنا ترقق ليلها نار بلا لهب

تحم دروبها والصور ثم تزول حماها

ويصبغها الفروب بكل ما حملته من سحب

فتوشك ان تطير شرارة ويهب موتها »

ولكن النار لا تشتعل ، وطول الفرح لاندق بعودة تموز فان عشتار
الهة الخصب « فارغتان كفاها » و « قاسيتان عيناها » ، واهل المدينة
جياح فالسحب مرعدة مبرقة دون امطار .

ان الشاعر ينتظر الثورة التي تحمل الحرية والتي يرمز لها بالمطر ،
تحمل معها الخصب والحياة ، ولكن الانتفاضات الصغيرة التي يقوم
بها الشعب احيانا ، ليست سوى رعود بلا امطار .

(١) في بعض الاحوال لا يكون الرمز مجرد تقية بل قد يكون اسلوبا
فنيا فضله الشاعر .

ولكن مرت الاعوام كثيرا ما حسباها

بلا مطر .. ولو قطره

ولا زهر .. ولو زهرة

بلا تمر كان نخيلنا الجرداء انصاب اقمناها

لنذبل تحتها ونموت »

ثم يذهب صفار بابل يبتهلون الى عشتار ان تسقيهم وتمنحهم المطر :

« ورف كان الف فراشة نثرت على الافق

نشيدهم الصغير :

قبور اخوتنا تناديننا

وتبحث عنك ايدينا

لان الخوف ملء قلوبنا ورياح اذار

تهز مهودنا فنخاف والاصوات تدعونا

.....

فيا من صدرها الافق الكبير وئديها الفيمه

سمعت نشيجنا ورأيت كيف نموت فاسقينا

نموت وانت - واسباه - قاسية بلا رحمه

فيا ابائنا من يفتدينا ؟ من سيحينا ؟

ومن سيموت : يولم لحمه ودماءنا فينا ؟

ان الشاعر هنا - في هذين السطرين الاخيرين يدعو للثورة ، يدعو
لان يحمل عبئها بعض المضحين الذين يولون حياتهم قربانا لحرية لكي
يفتدوا الاجيال الناشئة ويحققوا الامل الذي استشهد في سبيله
الشهداء من قبل .

اما الجزء الاخير فلعله يرمز الى ان الثورة قد اندلعت في بلد اخر
خارج اسوار بابل - لعله مصر او لبنان وان هذه الاسوار التي ترمز
الى الحكم الفاسد المستبد ، قد حالت دون المطر ودون ان ينزل في بابل
نفسها ، ولكنه مع ذلك حمل الامل في ان بابل سوف « تغسل يوما
من خطاياها » ، الامل الذي يرمز له الشاعر بالقمر او بالنجمة او بقطرة
ماء انفلتت من القيمة :

« وسح وراء مارفته بابل حول حماها

وحول ترابها الظمان من عمد واسوار

سحاب كان لولا هذه الاسوار رواها

وفي ابد من الاصفار بين الرعد والرعد

سمعنا - لا حفيف النخل تحت العارض السحاح

او ما وشوشته الريح حيث ابتلت الادواح

ولكن خفقة الاقدام والايدي

وكركرة واه صغيرة قبضت بيمنهاها

على قمر يرفرف كالقراشة او على نجمه

على هبة من القيمة

على رعشات ماء ، قطرة همست بها نسمة

لنعلم ان بابل سوف تغسل من خطاياها »

وانا بعد اعلم ان امثال هذه القصيدة الرمزية الرائعة لا يشعر الانسان
بكل روعتها الا اذا قراها كاملة ، وان الاستشهاد بأسطر منها يتلفها ،
لانها بنية حية لا يمكن نزع جزء منها دون ان يختل بناؤها .

وفي موقف قريب من هذا ، موقف انتظار الثورة التي لا تتحقق لتحمل
الحرية الى الشعب ، الثورة التي تحاول ان تنهض ولكنها لاتعبر عن
نفسها الا في انتفاضات جزئية لاتبلك ان تخمد بحيث توشك ان تحمل

منة ان تبجي ذبح النعماج

منة ان تطعني روحا وقلبا

كما اننا نلاحظ ان شاعر السياب قد التزم رمزه من البداية الى النهاية فظل يتحدث عن تموز وعشتار والمطر والجفاف . وحتى الدعوة لشورة رمز لها بالدعوة لتقدمة الضحايا للالهة . بينما خرجت نازك على رمزها اذ لم تلتزم التزاما حرفيا صورة الراقصة المذبوحة بسبل انها اشارت اشارة صريحة الى الشعب وانتفاضاته ، وان كانت قد اضطرت ان تنسب القصيدة للجزائر لا للعراق .

علم ان الشعر الثوري المعاصر يتخذ طريقا اخر للتعبير غير التعبير الحماسي المباشر او الرمز المتلزم او غير المتلزم . انه يلجا الى القصة . الى قص حادثة بذاتها قد يجعل الشاعر من نفسه احدا اباطالا او مجرد راويها فحسب . والشاعر يختار لها بعض التفاصيل الصغيرة الموحية يتدرج بها في بساطة حتى تصل الى ذروة المأساة فتزهنا قوتها الدراماتيكية . وعندئذ ، وعندئذ فقط تستطيع ان تدعونا الى النضال بعد ان تهيأت نفوسنا له تهيؤا كاملا بقراءة القصة .

ان الشعر الثوري ذا التعبير المباشر يناسب فترة احتدام المارك الفعالية ذاتها . انه كالمارشات العسكرية ، يلهب النفوس ويدفع الى الحماسة والحمية . ولكن الشعر الثوري القصصي هو المهد لتلك المارك ، هو الذي يؤصل الصور الثورية في النفوس ، بحيث تستطيع ان تقبل العمل الفعلي الايجابي حين يعين اوانه . انها التبرير النفسي للشورة والصورة التي تظل عالقة بالوجدان حتى ولو خفتت وقدة الحماس بحيث يستطيع ان يوقدها القادة السياسيون او شعراء المارك من جديد باقل جهد ، ثم يجدون استجابة حارة واعية من نفوس الشعب .

ولهذا الشعر اصوله في ادبنا الشعبي : في المواميل والقصص الشعرية التي تنشأ في المواميل على نفحات الرباب . وهذه الطريقة القصصية اذ تلجا الى حكاية التفاصيل الصغيرة الموحية ، تستخدم لغة بسيطة تلائم السرد القصصي ولكنها مؤثرة بما تجسم لخيالنا من تفاصيل الحياة الانسانية البسيطة ، الاليفة التي قلوبنا ، لانها من نسج حياتنا التي نحياها في كل ساعة وفي كل يوم . فالانسان القدر بطبيعته على الانفعال والتأثر بالاشياء التي تقدم له في قالب محسوس حتى اكثر من قدرته على تمثيل الافكار والمثل المجردة ، التي لا يتسنى تمثيلها الكامل الا لعدد محدود من الناس . وهذه الطريقة القائمة على تصوير التفاصيل الدقيقة الموحية تجدد ايضا في لغة الشعر ، وتبعد به عن القوالب والصيغ المتوارثة ، لان الشاعر القصصي ينظر الى ما حوله ليصوغ قصته ، ولا يلجا الى الذاكرة التي تحمله على التقليد ، وخير شاهد على ذلك ديوان « مع الغرباء » لهارون هاشم رشيد الذي يتخذ موضوعه الرئيسي من مأساة فلسطين واللاجئين . وفي الديوان قصائد كثيرة زاخرة بالاحساس الحار والتعبير الثوري بالطريقة التقريرية المباشرة ، ولكننا رغم ذلك نحس ان درتي الديوان هما القصيدتان اللتان اختار لهما الاسلوب القصصي ، وهما قصيدتا « قصة » و « مع الغرباء »

اما القصيدة الاولى (1) فلها كل مقومات القصة ، فلها بدء وقمة وختام وبها بعض الفقرات الحوارية . وهي في الحقيقة قمة من قمم الشعر المعاصر . ويبدأها الشاعر بالحديث عن موت جاويش من جنود

— البقية على الصفحة ١١٣ —

(1) ص ٥٠ ديوان « مع الغرباء »

النفوس على الياس - نجد قصيدة نازك الملائكة اللاهبة اللاذعة « الراقصة المذبوحة » (١) انها تهديها « تحية الى الجزائر في نضالها » ولكن القصيدة كما سبق ان اوضحت (٢) لا يمكن ان تنطبق على ثورة الجزائر بحال من الاحوال ، بل هي تنطبق على حال العراق قبل ثورة تموز . فالقصيدة تعبر عن روح من تولاه الياس من صلاح حال انسان او شعب عزيز على نفسه ، ولكن في ضميره بقية خفية من أمل ، ولذلك فهو يخزه ويجرحه ليشير فيه النخوة ويحفزه للمثابرة ، وهي بذلك تختلف عن قصيدة السياب التي تبتهل وتحنو ، بدلا من ان تخز وتجرح وفي النهاية تبشر بالامل وقرب الخلاص . وها هي ابيات من قصيدة نازك تعبر عن روحها :

انتفاضات ؟ وفي الشعب بقايا
من غرور لم تسلب دماء ؟
انفجارات ؟ وبعض الابرياء
بعضهم لم يسقطوا بعد ضحايا
لم يكن جرحك بدما في الجروح
فارقتي في سكرة الحزن الميت
الارقاء الحياري للسكوت
احتجاجات ؟ لماذا ؟ استريحي !
اضحكي للمدية الحمراء حبا
واسقطي فوق الثرى دون اختلاج

(١) ديوان قرارة الموجة

(٢) في تعليقي على قصائد عدد المعركة في عدد شباط « فبراير » ١٩٥٧

صدرا حديثا :

★ جائزة نادي القصة بالقاهرة لعام ١٩٥٨

★ جائزة جريدة « الكفاح » لعام ١٩٥٨

★ جائزة جريدة « السياسة » لعام ١٩٥٨

ثلاثة جوائز قصصية نالتها القصة الرائعة :

ولدي جبين النحس

بقلم : سمير تدير

قصة الشاب العربي عندما يجلس عن نفسه
حساسية الطفولة ، وقلوب الراقصة ، وجمع الشباب

قصة قال عنها

مخائيل نعيمة

انها « مكرية بالشاعر
الشريرة الفيت »

المن : ١٢٥ ٢٠ ل . د .

منشورات عويدات

الشعر الثوري في الأدب المعاصر

— تنمة المنشور على الصفحة ١٧ —

الاستعمار . ثم هجوم الجنود ومعهم العمدة لتفتيش بيت الشاعر (١) وكان اذ ذاك طفلاً . وفي خلال ذلك يصور خوفه وخوف امه ، وترقبهما وقلقهما ، الى ان يأتي الجنود ومعهم العمدة ويسألونها عن زوجها فتفكر معرفتها لمكانه ، فاذا بهم يطلقون عليها الرصاص ثم يشنون بحرق القرية كلها .

ان الشاعر يتدرج بنا من وصف الخوف والقلق في واقعية انسانية مرهفة :

واذا ما اصطدمت رجلي .. بصندوق الثياب
قفزت امي من النوم ... وهبت في ارتياب
من يدق الباب ؟ قد صاحت ولم تسمع جواب
وهوت قريبي في حزن وبؤس واضطراب

ثم يتدرج بنا من هذا الوصف الى حوار حي مؤثر بين الام والعمدة الذي يطفف عليهم لانه منهم وان كان مضطرا الى ان يحضر مع الجند ليسأل عن الزوج الهارب . واخيرا يبلغ بنا القمة حين يصور مقتل الام ورعب الطفل المسكين في كلمات بسيطة ولكنها مشحونة بالمعاطفة التي تهز القلب :

ومشى الجنيد ... مشوا من فوق امي
وانا اصرخ من رعب ومن بؤس ملم
ونكاد الخيل ان تدفن فوق الصدر جسمي
غير ان العمدة المسكين يحميني ويهتز ليمتي

ثم يلمس قلوبنا ويعمق فيها الجراح عندما يجري هذا الحوار الساذج المؤثر بتساؤله المتتابع بين الطفل والعمدة بعد ان امر الجنيد بحرق القرية :

عم يا عمدة - ماذا كان - عمي ذنبنا ؟
ولماذا قرروا ان يحرقوا ابياتنا
أترى تصرف ياعم ، اتدري جرمتنا ؟
ام ترى تجهل ما يبتسه الظلم لنا ؟

ثم يردف ذلك برؤية اهل القرية لقرينهم تحترق ، ولرؤيته هو لبيته يشتعل ، ثم معرفته ان اباه قد مات شهيدا في كفاحه ضد المستعمرين .

عندئذ يستطيع الشاعر وقد حفر اللوحة المؤثرة في قلوبنا ان ينقلنا من الصور الانسانية الجزئية الحية الى الهدف الثوري المجرد ، فيثير في قلوبنا السخط والثورة على المعتدين :

من هنا قد بدأت مأساة عمري
بدأت قصة آلمي واحفادي وثأري
من هنا قعشتب النيران في اعماق صدري
وتعلمت لماذا حفر الجلاد قبوري

لن ينام الثائر في صدري وان طال مداه

لا .. ولن يهدأ في روحي وفي قلبي لظاه
صوت امي لم يزل في سمع الدنيا صداه
وابي ما زال في سمعي وفي روحي نداه
ان تقدم ثابت الخطو الى الحق تقدم
وتفحم حالك الالهوال للثائر تفحم
سوف تطويك الليالي السود ان لم تتعلم
كيف تطفي غلة الثائر بنيران ودم

اما رائعته الاخرى فهي قصيدة « مع الغرياء » ، وهي ليست قصة بالمعنى الكامل ، بل هي حوار بين فتاة لاجئة وابيها ، بل هي مجرد اسئلة متتالية بسيطة مؤثرة ، تلقيها الفتاة على ابيها ، وتنتهي دائما بذلك السؤال المؤلم المحير :

لماذا نحن يا ابني ؟
لماذا نحن اغراب

تسال عن امها التي ماتت بسبب النكبة وعن اخيها الذي استشهد وعن صاحبته التي اسقمتها الايام ، تساله لماذا هم تائهون بلا بيت ولا سكن ، وتساله :

أبني
قل لي بحق الله
وهل ناتي الى يافا
فان خيالها المحبوب
في عيني قد طافا
أندخلها اعزاء

برغم الدهر اشرافا

وبعد ان تشعل نفس ابيها ونفوسنا بهذا التساؤل المر عن كل الاشياء الصغيرة الحبيبة ، وتحملها الى قمة الانفعال اذ بالاب يجيب عنا وعن نفسه :

فيصرخ سوف نرجعه
سنرجع ذلك الوطننا
فلن نرضى له بدلا
ولن نرضى له ثمنا الخ ..

على ان ما يمس نفوسنا في هذا الديوان غير هاتين القصيدتين ويقرب منهما في الروعة هي القصائد التي خرجت عن الاسلوب التقريري المطروق واتخذت سبيلا اقرب الى القصص على هيئة حديث او مناجاة مثل « احزان لاجئة » (١) « ومن الحياة » (٢) ، ذلك ان الاسلوب التقريري كثيرا ما يدفع الى التقليد لان ترائنا كله من هذا اللون ، والقاريء لافتنه له لا يرى المعنى الحسي الكائن في الالفاظ ، ذلك الذي يعطيها قدرتها على التلوين وعلى صدم الاحساس بالصور الفضة ، بل لا يحس منها غير المعنى العقلي المجرد الذي آلت اليه بطول الاستعمال ، ولذلك يضعف اثره في النفس . اما الاسلوب القصصي فهو يعطينا صورة جزئية بسيطة لا تزويق فيها ، ولكن تتابعها نفسه لا يلبث ان يكون صورة كلية تهز اعماقنا هزا .

وكما تفعل القصة الشربة احيانا ، كذلك يفعل الشاعر بان يبدأ قصته من نهايتها او من قمتها ليصدمنا بها ، ثم يعود الى سرد القصة ليخلص في النهاية الى الهدف الثوري في سطر او سطرين . وذلك مثل قصة

(١) ص ٢٣ من ديوان « مع الغرياء »

(٢) ص ١٢٠ من ديوان « مع الغرياء »

(١) طبعا من الجاز ان هذه القصة ليست قصة الشاعر الشخصية ولكنه تمقص شخصية البطل مما يجعلها افعال في النفس

« شق زهران » لصالح عبد الصبور ، وهي قمة اخرى من قمم الشعر المعاصر . اذ يدها بقوله :

وترى في جبهة الارض الضياء
ومشى الحزن الى الاكواخ تنين له الف ذراع
كل دهليز ذراع
من اذان الظهر حتى الليل .. يا لله
في نصف نهار

كل هذي المحن الصماء في نصف نهار
مذ تندي رأسي زهران الوديح »

ثم يعود الشاعر ليصف زهران وفرحته بالحياة وحبه وزواجه في اسلوب بسيط مليء بالعصر الشعبي تخالطه رموز مرهفة ، ثم ينتهي اخيرا الى الهدف :

قريتي من يومها لم تاتدم الا الدموع
قريتي من يومها ناوي الى الركن الصديع
قريتي من يومها تخشى الحياة
كان زهران صديقا للحياة
مات زهران وعيناه حياة
فلماذا قريتي تخشى الحياة ؟

ولكن الشعر الثوري اليوم لم يعد قاصرا على الاقليمية الضيقة فما يحدث في جانب من جوانب الوطن العربي يهز جوانبه جميعا ، فلا نكاد نجد اليوم ديوانا غربيا خاليا من معارك الكفاح ضد الاستعمار في كل جانب من جوانب الوطن العربي ، مباشرة بالنصر الشامل . فقضية فلسطين والجزائر ، ومعارك العراق والقناة ، كل ذلك كان موضوعا لشعر شعراء من كافة البلاد العربية .

على ان الشعر القومي العربي اذا كان قد سكن بعد حين من الثورة العربية الكبرى في اعقاب الحرب العالمية الاولى بعد ان تمزقت البلاد العربية بين المستعمرين وحكمها حكام ممالئون للاستعمار ، الا ان نكبة فلسطين قد حركت النفوس التي كانت قد خمدت اوارها ووجهت الازدهان والقلوب نحو الفكرة العربية الشاملة . لقد شغل ابناء كل اقليم بمكافحة المستعمرين في اقليمهم بل بمحاربة الحكام الخونة الممثلين لهم ، والذين يتستر خلفهم المستعمرون ، ولكن لا يكاد الشعب في احد الاقاليم يخلص من احد معاركه حتى يتلقت حوله ليري ما حل بالاجزاء الاخرى من الوطن العربي يساندها ويؤيدها ويشد من أزرها لتجتاز محنها .

وها هو سليمان العيسى في ديوانه الاول « مع الفجر » يقول في قصيدة « نفحة من أمية » (١) المكتوبة سنة ١٩٧٠ يخطب سوريا ، وقد تم جلاء المستعمرين عنها منذ يومين ، ويحملها مسئولية الكفاح حتى يتم تحرر بقية اجزاء الوطن العربي :

هذه امتي تحرق للفجر وتغلى في صدرها انساء
اتنامين يا دمشق عن النار ايرضى لك الهوى والوفاء
اسكوت ودجلة تنظى ويد البغي فوقها حمراء
امس لبت على استغاثاتك المسوت لذن اظلمت وعز الفداء
أفرار ومصر لم تدفن القتلى ولما تجف فيها الدماء
اتلذين سلوة ؟ وفلسطين على كل مخلب اشلاء

لا اقول « اللواء » (٢) ما كان يوما غير جرح من الجروح اللواء

هذا هو احساس الشاعر في ديوانه الاول ، الذي جاء اكثر شعرة عاطفيا وجدانيا خالصا بحكم فترة الشباب الاولى . ولكن الابيات التي وردت تعبر عن الروح القومية الشاملة ستهيظ على شعرة فيما بعد ، وعلى شعر اكثر الشعراء المعاصرين . وديوان « عائدون » ليوسف الخطيب خير معبر عن تلك الروح ، خصوصا في قصائده « نغم البعث » المهداة الى الرئيس جمال عبد الناصر اثر تأميم القناة ، وقصيدة « فجر البعث والانسان » ، ففيها يقرن بين معارك الوطن العربي بكل اقاليمه المختلفة في نغم نائر عاصف مليء بالكفاح . وقصيدته « المغاور » من اروع نماذج الشعر الخطابي الثائر ، وفيها يتحدث عن الرجال الذين حملوا بيمينهم رسالة الكفاح ويصف اقدامهم بأنه :

كاندلاع اللهب من جذوة الشمس ففسي كل حدقتين شهاب
والجياه الصلاب في ملعب الريح كما تشمخ الجبال الصلاب
ينقطنين بالشيئة والمعزم سطورا لم يشتملها كتاب
والصدور الشداد يطمها الموج فيرند وهو منها حجاب

من الشعب تلك راياته الحمر على الافق والحديد المذاب
من الشعب هانجا تنظى من الحرب والطبول الغضاب
ايها الفانمون اسلاب قومي ان من اجلكم تسن الحراب
ان هذا عنابنا ، منجل الثار فبهيات لن يرق العتاب
واظنتي لست بحاجة الى الحديث عن روعة الصور ولا عن الالفاظ المشحونة بروح الثورة والكفاح . وان كانت للشاعر قصائد اخرى في بعض اجزائها نغمات اليقة بسيطة هامة مشمل « اغان من فلسطين » و « المنديب المهاجر » .

على اننا نلاحظ في ديوان « اعاصر في السلاسل » لسليمان العيسى ، وهو الديوان الثاني للشاعر ، ان المشكلة الداخلية تسيطر على اكثر قصائده وهذا امر طبيعي ، لان التخلص من الحكام الخونة المستبدن هو الطريق الى الاستقلال الحق ، والى الخروج من المجال المحلي الضيق الى المجال العربي العام ثم الانساني . ولذلك نرى العيسى في ديوانيه التاليين «رمال عطشى » ثم « قصائد عربية » صيحة عربية خالصة تمتزج فيها احداث الامة العربية قاطبة .

واظنتي لست بحاجة الى ان اشير الى كل القصائد التي قبلت على الصعيد العربي العام ، فالكثير منها قد نشر في الاداب ، وكيف انها خلقت ملاحم واساطير حول جميلة (١) رمز الثورة الجزائرية وحول معركة القناة (٢) التي كانت بلا شك معركة العرب والعروبة وحول غيرها من معارك الوطن العربي الكبير . وان كنت احب ان اشير الى صورة جديدة من صور القصيدة العربية وهي صورة الرسائل وذلك في قصيدة نزار قباني « رسائل جندي مصري في جبهة السويس . »

على ان الشعر الثوري لم يزل يتسع مجاله في ضمير الشعراء العرب حتى اصبح يشمل مجالا اوسع من المجال العربي الخالص . فديوان « اغاني افريقيا » للفيثوري ليس الا دعوة للبعث الافريقي ، ونغره في جنب شعوب افريقيا لتصحو وتثور ، وتأخذ مكانها في التاريخ :

افريقيا افريقيا استيقظي استيقظي من حلمك الاسود
قد طالا نمت الم تسامي الم تملي قدم السيد

فويك ان لم تخفني صرختي زاحفة من ظلمة الهاوية
عاصفة بالابيض المتسدي عليك يا افريقيا الغالية

(١) عدد نيسان سنة ٥٨

(٢) عدد ديسمبر سنة ٥٧ ويناير وفبراير سنة ٥٧ - وغيرها

(١) ض ٧٥ ديوان « مع الفجر »

(٢) لواء الاسكندرون السليب وطن الشاعر

ان امثال هذه القصيدة (1) ، وقصيدة « ثورة قارة » المكتوبة سنة ٥٢ ليست الانبوءة بالمد الثوري الذي سيجتاح البلاد الافريقية . ففي ذلك الوقت لم يكن قد تحرك في قلب افريقية سوى كينيا بقيام ثورة الماوا . ولكن الشاعر باستلهامه للقوى الكامنة في نفوس الشعوب ، وباستشرافه للمستقبل ، اصبح يرى الحقيقة قبل ان تتحقق . ولعل ثورة يوليه سنة ٥٢ المصرية قد اعادت الثقة في نفوس الشعوب المستضعفة وحددت الطريق الى المستقبل ، طريق الكفاح لاستخلاص الحقوق ، فاحست هي ودول اسيا الحديثة العهد بالاستقلال بما بينها من روابط ومشاركة مما ادى الى عقد مؤتمر باندونج ثم تكوين المؤتمر الاسيوي الافريقي ، ثم استقلال بعض بلاد افريقيا مثل غانا وغينيا ثم عقد مؤتمر اكرا وغيره من المؤتمرات ، ولعل قصيدة « اغاني افريقيا » التي كتبت سنة ١٩٥٢ تعبر عن تلك الشعلة التي بعثتها الثورة المصرية . وهذه القصيدة مطلعها :

يا اخي في الشرق في كل سكن يا اخي في الارض في كل وطن
انسا ادعوك فهل تعرفنسي يا ابا اعرفه رغم المحن
ثم يقول مشيرا الى الثورة المصرية :

الملايين افاقت من كراهها ما تراها ملا الافق صسداها
خرجت تبحث عن تاريخها بعد ان تاهت على الارض وتاهها
حملت افسها وانحدرت من روايبها واغوار قراها
فانظر الاصرار في اعينها صباح البعث يجتاح الجاهها
يا اخي في كل ارض عربت من ضياها وتفتت بدجاها
قم تحرر من توابيت الاسى لست اعجوبتها او موميهاها
انطلق فوق ضحاها ومساها يا اخي قد اصبح الشعب الها
ومن هذا الوتر نفسه تنطلق بعض قصائد ديوان « الطين والظافر » لمحي
الدين فارس مثل قصيدة « افريقيا لنا » و « اغنية على لسان راع افريقي »
بل انه يطلق صيحة الفرح بالتقاء اسيا وافريقيا في قصيدة
« باندونج » (٢) :

وانتفضت افريقيا يوما وانتفضت اسيا المقهورة
لتحطم تابوت سنين كانت اغنية مكرورة
اسيا الصفراء لقد غسلت عار الايام المهذورة
وكذلك افريقيا السوداء ستمحو تلك الاسطورة
واذا باندونج باذرعها باقات صباح منضورة
فقلوب تهفو لقلوب ستغني ملء المعمورة

لقد كان الاستعمار يجزنا عن العالم ويمنع صلاتنا به ان تتوثق
فلم نكد نحس مشاكل الانسانية الواسعة ، وندرك الى اي مدى هي
مرتبطة بمشكلاتنا . ولكن الثورات التحررية التي نبتت في قلب العالم
العربي قد اعادتنا الى التيار العام ، تيار الحياة . فاصبحنا ناسي وننفل
ونتأثر بما يقع في جوانب العالم المختلفة لاننا اصبحنا نعلم ان مايصيب
الانسان في اي مكان انما يصيبنا نحن ايضا . فنحن نحتج على اجراء
التجارب الذرية في اليابان ، كما نحتج على اجرائها في الصحراء الكبرى
قريبا من بلادنا . وناسي لمأساة اضطهاد في امريكا كما ناسي لمأساة
اضطهاد في العراق او في الجزائر . فحين ينمى الظلم والعدوان في كل
مكان تتعاقب الانسانية ويسود السلام .

ومن روائع الشعر الثوري الانساني وقمه العالية قصيدة « لوسى (١)
لمحي الدين فارس ، تلك الفتاة الامريكية السوداء التي ابى عليها البيض
ان تدخل الجامعة ولاحقوها بصنوف الاضهاد . وفي مطلعها يقول :

سمعت الروايه
سمعت تفاصيلها للنهايه
وجئت حزينا ارش على كل درب اسايا
لانك مثلي سوداء مثلي
ولونك لوني وجرحك جرحي
وحزنك حزني تم عليه مقاطع لحني
ولكن لاسك انسانة
معذبة في الدجى شارده
تدقن باب الحياة الكبير
فتوصد ابوابها الجاحدة
وفي جزئها الاخير يقول :

انما ابحت عن ارض الحقيقه
والمساواة التي تنعم في احضانها كل الخليقه
والعصافير الطيقه

حيث ينمو الزهر من غير اوانى
حيث لا تنبت في الاعماق اشواك الهوان

ومن هذا النبع الانساني ايضا تنبعت الكثير من قصائد محيي الدين
فارس مثل « ذكريات الحرب » و « السلام الاخضر » و « اغنية جديدة »
وقصيدة « شهيد من اليابان (٢) » لحسن فتح الباب من درر هذا
الاتجاه الانساني . فهي قصة صياد ياباني ذهب ضحية التجربة الذرية
الامريكية في جزر بكيني بالمحيط الهادي بعد ان قاسى امر العذاب ..

وبلاه ذاب شعره ولم يم
وغاض ماء وجهه ولم يم

وحين مات لم يكن به رمق
يصد عنه غائل الحريق

واساقت قبل الوداع منه كلمتان :
« لا موت بعد اليوم بالفبار »

فكان اخر الضحايا في تجارب الدمار

لقد صور الشاعر في قصيدته جمال الحياة ثم فطاعة الدمار الذي
تسببه التفجيرات الذرية ، وتحدث عن اسرة الصياد ، وكيف تنتظره
دون جدوى زوجته واولاده ، في كلام آلي مؤثر ، ثم العذاب الذي
لاقاه بعد ان لحقه الغبار الذري بالمرض والتشويه ، ثم ينتقل بنا في
الفقرة الاخيرة الى الدعوة الثورية الانسانية :

ياأصدقاء الشمس يا طلائع النهار
يا ايها العمال في شواطئ البحار

لترتطم تجارب الدمار
بصخرة الاصرار

لن يسقط الالباء في مجارق الرماد
لن يرجع الالباء نائهي الوجوه

لن يطفئ الجلال نضرة العينون
لتنحطم على جداركم يداه

(١) الاداب عدد ايار ١٩٥٨

(٢) الاداب عدد ايار ١٩٥٨

(١) قصيدة « البعث الافريقي » من ديوان « اغاني افريقيا »

(٢) لجيلي عبد الرحمن قصيدة رائعة في تحية المؤتمر الاسيوي الافريقي
نشرت في جريدة المساء سنة ٥٨

من قبل ان يحطم الحياة

كذلك قصيدة « البنت التي ولدت ميتة » (١) لمجاهد عبد المنعم
مجاهد دهوة انسانية ضد التجارب الذرية .

ومن هذا الاتجاه الانساني قصيدة « الى مشوه الحضارات » (٢)
اي هنتر ، يهاجم فيها الشاعر صالح جودت الفلسفة العنصرية التي
قامت عليها النازية وفيها يقول :

يا راسم الارض حلالاته يشقك ما انت لها راسم
أفرقتها في دم ابنائها وانت في لجتها عائم
وقلت اجناس وقسمتها فضلت القسمة والقاسم
ما انكرت حواء اولادها يوما ولا انكرهم آدم
الابيض الناصع من بطنها وصلبه الاسود الفاحم
على ان الشعر العربي الثوري المعاصر اذا كان قد عبر عن الثورات
الوطنية والقومية والانسانية ، فانه لم يغفل التعبير عن الثورة الاجتماعية
وهذه الثورة قد تكون ضد الفقر والظلم الاجتماعي الذي يتمثل في
الاقطاعيين والمستغلين ، كما قد تكون ضد تقاليد وازواج اجتماعية او
اوضاع اخلاقية فيما يكون بين الناس من معاملات . او تكون ثورة ضد
تقييد حرية الفكر واضطهاد الكتاب الاحرار ، بل احيانا قد تكون ثورة
ضد بعض الاتجاهات الفنية في الشعر نفسه .

ولقد كانت الثورة ضد الاقطاع والظلم الاجتماعي مقترنة دائما بالثورة
ضد الاستعمار والحكم الداخلي الفاسد ، لان الاستعمار والحكم الفاسد
لاهم لهما الا استبزاز خيرات الشعب لمصلحتها الخاصة ، دون اية
محاولة لرفع مستوى الشعب نفسه الذي يقدم لهم الخيرات بكفاحه
وجهاده بينما يتمرغ هو في الفقر والشقاء . وهنا نعود مرة اخرى الى
شعر سليمان العيسى وكمال عبد الحليم . ففي قصيدة « الارض التي
وزعها المذباغ (٣) للعيسى نراه يصور ظلم الحكام الفاسدين واستبدادهم
بصغار الزراع واغتصابهم لارضهم ونفاقهم حين يذيعون في المذباغ برهم
بالفلاحين واصلاحهم لحوالهم . كذلك قصيدة « شارع ابي رمانة » (٤)
ثورة ضد الاستغلال الذي يتيح لبعض الناس اسرافا في المتعة والشراء
بينما يتمرغ المستغلون في جحيم الفقر :

الثرفسة البيضاء من يدري اكانت غير حقل
مزقت في اشواكه صدري ومزق صدر اهلي
وعصرت فوق ترابسه روحسي على رهق وذل
.....

هيهات يهدأ دونها المي وعاصفتي وغلى
وفي قصيدة « يقولون (٥) نرى الشاعر يخاطب من يلومونه لانه
يساهم في رفع لواء الثورة الاجتماعية :

يقولون هجتم علينا القطيع وها فمه لم يعد يلحهم
تمرد حتى الاجير الحقيير واصبح من لطمه يالم
اكان الوري غير مستضعف يطيع ومستضعف يحكم
بلى قد ائنا القطيع الذليل سواعد مفتولة تزحم

(١) ص ٩٥ ديوان « اغنيات مصرية »

(٢) ص ٩٦ من ديوان « ليالي الهرم »

(٣) من هذا النوع أيضا قصيدة « القرصان الكبير » لمحيي الدين

فارس في ديوانه « الطين والاطافر » ، واخرى لتاج السر الحسن في

ديوان « قصائد من السودان »

(٤) « المعاصر في السلاسل » ص ١٦٨

(٥) ص ٤٣ ديوان « رمال عطشى » .

وفي ديوان « اصرار » لكمال عبد الحليم نجد اكثر من قصيدة في
هذا المعنى مثل قصيدة « اصرار » ومثل قصيدته عن الفلاح في مصر
وعنوانها « في قبضة الفأس » وقصيدة « قصور وقبور » و « معسكرات »
التي يوضح فيها تعاون الاستعمار والملك والاقطاعيين على استغلال الشعب.
اما قمته الرائعة « لن يعيش » التي كتبها ١٩٤٨ ففيها يتنبأ بخلع الملك
السابق ويصور بؤس الشعب . يبدأها بالحديث عن الملك وعن خوفه
من الشعب بقوله :

وصوف على جسمه فوق صوف ولكن هيكله يرتعش
وخمر لتنسيه وقع الصروف وتنسيه سلطانه المنكمش
ونار الرصاص وطعن السيوف وما طاش منها وما لم يطش
وصوف وخمر ونار تطيش وتردي وهيكله يرتعش
تري هل يعيش ؟ وكيف يعيش ؟ وعيد الجماهير ان لم يعيش
ثم يصف بؤس الشعب بأبيات منها :

تعيش الجماهير بين الحفر وفوق التراب وفوق القنر
تموت الملايين بل تتحجر ضحايا الظلام صفار العمر
تموت من العرق المنهمر ومن قسوة العيش بين الحفر
ثم يعود مرة اخرى الى الحديث عن الملك ويتنبأ بالثورة بقوله :

لقد كان يأكل في نومه وتبني الحياة أكف الجياع
وكم كان يلهو بنرانه ويضحك حين يموت الرعاع
افاق على النار في كاسه وقد غاب منها بريق الشعاع
على رعشة الموت في جلده كمن ادركته نيباب السباع
لقد نار من كان في ارضه يبيع سمادته كالتسعاع
يبيع له النور من عمره يبيع له روحه والسذراع
وقد دفع هذا الموقف الاجتماعي ضد الفقر والاستغلال هذين الشاعرين
الى موقف فني ينكران فيه الشعر الذاتي الذي يتحدث عن الحب وعن
جمال الطبيعة وغير ذلك من الموضوعات الوجدانية . ففي قصيدة
« يقولون » التي اشرنا اليها نجد سليمان العيسى يقول :

بلى انا للحلم لا للنضال اذا لم تكن من دمي تفهم
وللحب ان كان في حيننا فم بابتسامته ينعمم
بل انا للحلم لا للنضال اذا لم يكن في عروفي دم
وزخرف دربي سوى معدم يشاطره داه معدم
اذا كان حولي سوى مجهدين على بيع انفسهم ارغموا
ونفس هذا الموقف يقفه كمال عبد الحليم في قصيدته « الى الشاعر

التائه » . وان كان للشاعرين كليهما شعر ذاتي عاطفي بالغ الروعة والحرارة .

اما الثورة ضد محاولات الاستبداد لقتل الفكر الحر ، فليس اروع
من قصيدة « برونو ابدأ » المنشورة في عدد نيسان ١٩٥٨ من الاداب ،
للاستاذ هنري صعب الخوري . انها صرخة ضد كل من يقف ضد الحرية
الفكر وانذار له بان الفكر نفسه سيقتله . وبرونو فيلسوف ايطالي احرق
في روما شهيدا في اواخر القرن السادس . وعنوان القصيدة « برونو ابدأ »
اي سيكون هناك دائما ابدأ مجاهدون في سبيل الحق مستعدون للتضحية
في سبيله مثل برونو . وهذه القصيدة قد قيلت قبيل الثورة اللبنانية
١٩٥٨ صرخة احتجاج على اغتيال الفكر والمفكرين واحرار الكتاب ، بعد
محاولة رشوتهم ارضاء للمستعمرين ذوي الدولار . وهي قصيدة حسارة
لافتحة رائعة ساظطر الى الاكتفاء بايراد مطلعها :

ستموت مطعونا بريشته

ستموت ياخفاش يا جدينا

للحرف يا جيلاد كلمته

ياحانوى الاثم

يا جرسا للظلم

يا بنساء قبته

ستموت مطوننا بريشته

وقد تكون ثورة الشعر ثورة عامة ضد الالم والشقاء كما في قصيدة صلاح عبد الصبور « عيد الميلاد » (١) التي يختمها بقوله :

يا لاهنا فوق الصليب يكاد يسالك الصليب

لم مت من دون الصليب !؟

او ثورة ضد الاستكانة ودموة للإيمان بقدرة الانسان مثل قصيدة « الملك لك » (٢) او ضد التراخي والكسل والاتجاه الى الفيبات والاحلام مثل « خبز وحشيش وقمر » لنزار قباني . (٣) او ثورة اخلاقية ضد التزلف والنفاق وموت الضمير مثل قصيدة « دفاع عن الكلمة » (٤) لاحمد جحازي التي قدم لها بقوله « الى الذين ماتت كلماتهم لان ضمائرهم ماتت » وفيها يقول :

وانا الاصغر لم اعرف مصاحبة الامراء

لم اتعلم خلق الندماء

لم ابغ الكلمة بالذهب الللاء

ماجرت السيوف على اصحابي فرسان الكلمة

لم اخلع لقب الفارس يوما

فوق امير ابكم »

وقد تكون ثورة اجتماعية من لون اخر ، ثورة ضد التفسخ فسى العلاقات الانسانية وضد العزلة الروحية وعدم التضامن والتآخي التي يشعر بها الناس في مدينة من الزجاج والحجر (٥)

الصف فيها خالد مابعد فصول

بحثت فيها عن حديقة فلم اجد لها اثر

واهلها تحت اللهب والقيار صامتون

لو كلموك يسألون كم تكون ساعتك !!

وهذا الاحساس يعبر عند الشاعر احمد حجازي في اكثر من قصيدة من ديوان « مدينة بلا قلب » مثل « انا والمدينة » و « مقتل صبي » ، ولكنه يصل الى قمة ثورته في قصيدة « الطريق الى السيدة » التي يختمها بقوله :

ياقاهرة

اياقابا متخمت قاعدة

يا مذننات ملحمة

يا كاهرة

انا هنا لاشيء كالوتي كرؤيا عابرة !

وان كان في قصيدة « رسالة الى مدينة مجهولة » يمود بعد سخطه

على اهلها الى تعرف حقيقتهم ، فراهم مثله طيبين معذبين محتاجين للعون

فاتخذ منهم اصدقاء :

وفي المساء قارب الظلام خطونا

رايتهم واروا وراء الليل موتاهم

وانهمرت دموعهم واخصل مبكاهم

وامتدت الايدي واجهش الطريق بالبكاء

قلت لهم .. يا اصدقاء !

وهناك ثورة اجتماعية اخرى ، ثورة المرأة العربية ضد التقاليد والقيود التي يكبلها في المجتمع ، يريد ان يسجن ملكاتها ويقرر مواهبها ، او ثورة ضد ظلم المجتمع الذي يكيل لها يكيل غير الذي يكيل به للرجل .

فمما يمثل الحالة الاولى تلك القصيدة الحارة الثائرة لفدوى طوقان

« وراء الجدران » (١) تبادلها بقولها :

بنته يد الظلم سجننا رهيبا لواد البريئات امشاليه
وكرت دهور عليه ومسا زال يمثل كاللعنة البساقيه
وقفت بجدران العاسبات وقد عفرت بتراب القرون
وصحت بها يا بنات الظلام ويا بدعة الظلم والظالمين
لعنت : احببي نور حريتي وسدى علي رحاب الفضاء
ولكن قلبي هذا المفرد لن تطفئي فيه روح الفناء
لعنت سواي امامك تمنو وتخرسها غضبات الطفاه
ولكن مثلي ستبقى برغمك بنت الطبيعة بنت الحياة
اغني ولو سحقتني القيود اغاريد نفسي واشواقها
تبارك لحني امي الحياة فلحني من عمق اعماقها

اما الحالة الثانية فتمثلها قصيدة نازك الغال « غسلا للعار » (٢) تلك التي تمثل قتل الرجل للمرأة غسلا للعار بينما الرجل القاتل غارق في انامه وفجوره لباحاسبه احد . وفي المقطوعة الاولى من القصيدة تصور الشاعرة لحظة القتل ذاتها بكل بشاعتها ، وفي المقطوعة الثانية تصور ذهاب القاتل الى الماخور يلهو بعد ان قتل ضحيته . وفي الثالثة تصور تناقل اهل الحارة لخبر الفاجعة وتبجح القاتل وفخره بفعلته :

وسياتي الفجر وتسال عنها الفتيات

« أين تراها » ؟ فيرد الوحش « قتلناها »

« وصمة عار في جبهتنا وغسلناها »

وستحكي قصتها السوداء الجارات

وفي المقطوعة الاخيرة تبلغ النروية اذ تلخص مأساة المرأة في الشرق التي تخشى ان تمارس بهجة الحياة خوفا من التقاليد التي نصبها الرجل حولها :

« يا جارات الحارة يا فتيات القرية : »

الخبز سنعجنه بدموع مآقينا

سنقص جدائلنا وسنسلخ ايدينا

لنظل ثيابهم بيض اللون نقيه

لا بسمة لا فرحة لا لفته فالمدية

ترقبنا في قبضة والدنا واخينا

وغدا من يدري اي قفار

ستوارينا غسلا للعار

وبعد ، فاحسب اني قد اطلت ، وارجو ان يغفر لي الجميع انني لم اشر الى قصائد لاتقل روعة عما استشهدت به ، فعذري ان شعر الشباب المعاصر ملء بالروائع بعكس مايتهمه المعارضون ، وفي هذه الايام القليلة قد اعدت قراءة اكثر من ثلاثين ديوانا لشعراء الشباب كلها مليئة بما يستحق الخلود .

ملك عبد العزيز

القاهرة

(١) ص ١٠٥ « وحدي مع الايام » .

(٢) ص ١٤٥ ديوان « قرارة الموجة » .

(١) و(٢) ص ١٨٤ من ديوان « الناس في بلادي »

(٣) ديوان قصائد من نزار قباني

(٤) ديوان « مدينة بلا قلب »

(٥) من قصيدة « رسالة الى مدينة مجهولة » ديوان « مدينة بلا قلب »